معطيات التحليل اللغوي التقابلي
وتعلم اللغة الثانية

أ.د. محمد امحمد بن طاهر*

مقدمة

تعددت مناهج التحليل اللغوي، واختلفت طرق تعلم اللغة، وتنوعت وسائل إعداد المعلمين، وازدادت الأهمية، وتم التركيز على ما يعتقد أنه الطرق المثلى فيما يتعلق بإعداد المدرس، الذي بالطبيعة يتحمل العبء الكبير في العملية التعليمية برمتها، سواء في ذلك مراحل التأسيس، أو المراحل اللاحقة. وسواء في ذلك، أكانت اللغة التي يعلمها اللغة الأولى أم الثانية.

ونظرا لأهمية الأمر، فإن مجتمعات العالم كافة، بخاصة المتقدمة منها، أولت وتولي عناية متميزة، وتنظر بعين الرعاية إلى ما يجب التوفر عليه فيما يخص المعلم، سواء في ذلك معلم اللغة، أو أي علم آخر، وإن ازداد الاهتمام بمعلم اللغة، لأنها العامل المهم في العملية التعليمية، وهي الأداة التي يتم بها التواصل بين المعلم وتلاميذه.

وفي سبيل الوصول إلى معلم ناجح، ومن ثم السير قدما بالمتعلمين، كان الاهتمام منقطع النظير، فيما يخص التنظير والتأسيس الفكري لما يفترض أن تكون عليه العملية التعليمة من أساسها، الأمر الذي حدا بالمهتمين من جميع فروع المعارف العلمية، من أن يفكروا في الأمر مليا، ويتثبتوا قبل أن يقدموا على بسط افتراضاتهم ونظرياتهم التي من شأنها إنارة السبل أمام المدرسين والدارسين على السواء.

ومن بين العوامل المهمة فيما يخص التحصيل العلمي بعامة، خص المعلم بمزيد عناية، من قبل علماء اللغة، وتنوعت أفرع التخصصات اللغوية، التي تهتم

* كلية الآداب ـ جامعة مصراتة ـ ليبيا

باللغة، ودورها الحاسم في إيصال المعلومة إلى مريديها. فكان وأن كانت الدراسات اللغوية على اختلاف أشكالها وتعدد وجهات نظرها.

وفي هذا المقام، فإني أخص بالدرس أحد أفرع الدرس اللغوي العام، وهو ما نطلق عليه (التحليل اللغوي التقابلي) ودوره الحاسم في إلقاء الضوء على المؤتلف والمختلف ما بين اللغات، وتبيان الطرق المثلى التي من شأنها تيسير التحصيل لدى من يريد تعلم لغة ثانية. فعند عقد مقابلة ما بين نظام لغتين، يتم التعرف على خصوصيات كل لغة على حدة، وكمختص، واستنارة بآراء كثير من المختصين في مجال التحليل اللغوي، أستطيع القول: بأنه على الرغم من كل ما يحيط بالموضوع من تعقيدات، فإن الدرس اللغوي التحليلي قادر أكثر من غيره من الدراسات اللغوية، على الاسهام في دفع عجلة العملية التعليمية للغة إلى الأمام، وكذلك كل ما للغة به علاقة.

ومن خلال تجربتي الخاصة، وعملي في مجال تعليم علوم اللغة، وتدريسي علمي اللغة التطبيقي، وعلم اللغة التقابلي، وتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتدريس الأدب المقارن لطلاب الدراسات العليا، إلى جانب ترجمة معاني الشعر الغربي إلى اللغة العربية شعرا مقفى؛ أستطيع التأكيد أن من شأن هذه العلوم تقريب وجهات النظر، حول عملية تعليم اللغة، سواء في ذلك أكانت لغة أولى أم ثانية، كذلك من شأنها درء الوقوع في الخطأ، عند إرادة تعلم أنظمة لغات أخر، أو عند ترجمة معانى نص من لغة أخرى.

وفي الوقت الذي يتم فيه التركيز على الدور الذي يؤديه التحليل اللغوي التقابلي في العملية الدراسية، غرض تصحيح مسارها وتنظيم شؤونها؛ فإن استعراض ما أمكن من الدراسات سواء في ذلك العربية وغيرها مما يقتضيه المقام.

الهدف والأهمية

يهدف هذا البحث إلى بيان الأسس النظرية التي يبنى عليها (التحليل اللغوي التقابلي) والدور الأساسي الذي يؤديه هذا العلم في تقديم العون للعملية التعليمية،

وبالخصوص فيما يعين على تحسين أداء المتعلم والمعلم على السواء. فمدارسة شجون هذا العلم المختلفة، التي في حقيقتها على تماس مباشر مع العملية التعليمية للغة، من شأنها أن تعين المهتم بمستقبل تعلم اللغات المختلفة، على توظيف معارف هذا العلم في السيطرة الجيدة على أنظمة أكثر من لغة، ومن تم الوصول إلى المبتغى.

ولعل الهدف الأسمى للتحليل اللغوي التقابلي، هو ليس التوصل إلى فهم التراكيب اللغوية فهما جيدا، لكن الأهم يكمن في التعرف على كيفية الاستدلال، وفهم العملية التعليمية برمتها، بشكل يفوق التجارب ويعلو عن التكرار الحيني. وقد أرسى هذا العلم دعائم أساسية لدراسة الأخطاء التي يقع فيها متعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية. وكذلك (التدخل) من اللغة الأولى في شجون اللغة الثانية، ومن تم تجنبها واحتراس الوقوع فيها. وكذلك التعرف على الصعوبات التي تواجه متعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية.

المنهجية

في سبيل الوصول إلى غاية ما كانت العناية به أولا، كان لا بد من استقصاء البحث، وتتبع مسارات الدرس اللغوي العام قديما وحديثا، وقراءة ما وصلت إليه اليد بأكثر من لغة، والاطلاع على سير العملية التعليمية في أماكن كثيرة من العالم، التي أثبتت، علو كعبها في الاهتمام بلغاتها، وبالغ عنايتها بتدريب وتأهيل معلميها، والتي كان للدرس التحليلي التقابلي دور بارز في تيسير تعليم غير لغاتها.

وحتى يتيسر الوصول إلى الغرض الأصلي، كان من الضروري اتباع منهج يحدد من خلاله مسار البحث، فكان وأن اعتمدت تتبع مسارب هذا العلم في مظانه، وقراءة ما توصلت إليه من دراسات وأبحاث قراءة متأنية، مراعيا في الوقت ذاته، الاستفادة من معطياتها جميعا في سبيل الوصول إلى تكوين وجهة نظر أريد لها أن تفي إن لم يكن بكامل متطلبات الموضوع، فلا أقل مما تيسر منها.

ومراعاة للمقام، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإن التعرض بالمناقشة والتحليل لماهية (التحليل اللغوي التقابلي) وأول ظهوره، وهل كان لعلماء اللغة العرب أسبقية في هذا الخصوص، سيكون تصريحا مختصرا، وأحيانا سيكتفي بالتلميح دون التصريح.

مشكلة البحث

حتى يتم تشخيص المشكلة، ومن ثم الاستنارة بمعطيات الدرس اللغوي التحليلي في تعلم وتعليم اللغة الثانية، كان التدوين لأسئلة من شأنها أن تعين على تصور الموضوع، ومن ثم الخوض في الإجابة عنها، ومناقشة الاستفادة من معطيات هذا الدرس الفكري في تعلم وتعليم اللغة العربية في مجتمعات غير عربية (غربية)، تتواجد بها جاليات تحرص على تعلم هذه اللغة، لأسباب مختلفة.

- هل التحليل اللغوي التقابلي، هو نتاج غربي؟
- هل فعلا توجد حاجة ماسة إلى الاستعانة بالدرس اللغوي عموما، والتقابلي التحليلي بالخصوص؟
- هل سبق وأن نوقشت مسألة الاستعانة بدرس التحليل التقابلي فيما يخص تعلم وتعليم اللغات؟
- ما مدى أهمية تعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية؟
- ما مدى حاجة الجاليات العربية والمسلمة في المجتمعات الغربية، إلى تعلم اللغة العربية؟
- من المقصود بالعملية التعليمية؟
- ما الذي يجب أن يتوفر في معلم اللغة الثانية، أو الأجنبية؟
- ما أهمية تعلم اللغة العربية لأفراد الجاليات العربية، وما ارتباطها بالهوية؟
- هل الشعور بالتميز اللغوي يعد عقبة في تعلم اللغة الثانية؟
- هل الرغبة في تعلم اللغة الثانية يعين على تعلمها؟

- ما هو واقع اللغة العربية في مجتمعاتها؟
- ما هو مستقبل اللغة العربية في محيطها العربي والإسلامي والغربي؟

هذه جملة أسئلة من شأن مداورتها ومحاورتها إثراء البحث، وتحديد بعض مساراته، والإسهام في تقريب الدرس التنظيري من الواقع المعيش، غرض توافر الجهود من أجل دفع مسيرة الاهتمام بتغيير واقع لغوي . غير مرض . للملايين من الذين تركوا ثرى الأجداد، وأضحوا يعيشون في أقليات أقرب إلى الذوبان منها إلى الاندماج.

وقبل الولوج إلى صلب البحث ومقاربة الإجابة عما ذكر آنفا من أسئلة، يحسن بنا أن نشير إلى بعض خواص درس التحليل اللغوي التقابلي، من خلال عرض مختصر لمسيرة هذا العلم منذ النشأة، حتى الوقت الحاضر.

التحليل اللغوي التقابلي

ما يعنيه التحليل اللغوي التقابلي هو عقد مقابلة ما بين نظامين للغتين غالبا ما تختلفان في الأرومة والنسب، وذلك عن طريق تبيان ما يتفقان فيه وما يختلفان تحقيقا للفائدة ووصولا إلى الغاية.

تشير المصادر الأجنبية إلى أن البوادر المنهجية للدرس اللغوي التقابلي، ظهرت في أوروبا، وأن أول ظهورها كعلم كان في أواسط القرن التاسع عشر. (Fisiak. 1981).

وإذا ما تجاوزنا ذلك وبحثنا في أمات كتب التراث العربي فإن ملامح الدرس اللغوي المقارن والتقابلي غير خافية وصلة اللغة العربية بغيرها من اللغات السائدة في الأزمنة الغابرة لم تقصر هذه المصادر في التنويه بتدوينها.

قبل البعثة الشريفة، وفي زمن ما قبل الإسلام، لم تكن اللغة العربية في معزل عن واقع الحياة، ومواقع الحدث، فقد كانت على اتصال بلغات كانت سائدة لمجتمعات متحضرة، ونتيجة لعوامل مختلفة من التواصل، دخل اللغة العربية الكثير من الألفاظ، التي ليست من بناتها، وأصبحت هذه الألفاظ بمثابة الألفاظ العربية، وإن لم يكن

منشؤها عربيا، إلا أنها باستعمالها في البيئات العربية المختلفة أضحت جزءا لا يتجزأ من قاموس اللغة العربية المشتركة. لم يقتصر وجود هذه الألفاظ في هذا الزمن بالتحديد على لغة قضاء الحوائج اليومية، ولكنه تسنم أفصح التراكيب.

وباستقراء سريع لبعض قصائد المعلقات، نجد ألفاظا كثيرة ـ من لغات مختلفة ـ وردت في نصوصها. وفيما أورده صاحب الأغاني في معرض إخباره عن شاعر الفترة (عدي بن زيد العبادي) وتعلمه اللغة الفارسية. يقول: "فلما تحرك عدي بن زيد، وأيفع طرحه أبوه في الكتاب، حتى إذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه (شاهان مردع) إلى كتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية، حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر ... (الأغاني. 101/2).

وفي القرآن الكريم الكثير من الألفاظ التي ترجع أصولها إلى غير العربية المشتركة، والذي استعملت من قبل الناطقين بالعربية، والتي أصبحت ألفاظا عربية بحكم الاستعمال، وهو ما يبين على أن اللغة العربية لم تكن في معزل عن التواصل مع غيرها من لغات الجوار.

وفي العصر الإسلامي الأول، وجدنا الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ يحث صحابته على تعلم ألسن غير العرب، فقد روي عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أمره بتعلم لغة السريان (مسند ابن حنبل. 182/5).

وحرصا من علماء الأمة على تكامل مؤسسات الدولة الناشئة، كان الاهتمام بكل ما يتعلق بشؤون الحياة، التي لم تكن اللغة في معزل عنها. فقد وردت الإشارات الكثيرة في كتابات (الخليل بن أحمد. ت 175هـ) وفي كتاب (سيبويه. ت 180هـ) ما يفيد أنهما خصا الحديث عن تقابل أصوات العربية مع غيرها من اللغات بمزيد اهتمام. وفي ذات المقام، أسهب (الجاحظ. ت 255هـ) في الحديث عن اللثغة واللكنة وبعض أمراض اللسان عند بعض الناس، "ومن خلال عرضه لهذه المسألة، تحدث عن تعلم الأجانب لأصوات اللغة العربية". (البيان والتبيين. 5/1)

وبالجملة، فإن اهتمام الدولة العباسية بهذا الشأن وغيره غني عن التعريف، فالمأمون عندما أسس دار الحكمة، أمر أن يخص أحد أقسامها بقضايا الترجمة من وإلى العربية.

أما فيما يتعلق بالدرس اللغوي التحليلي الممنهج فيعود أول ظهوره على أصح الأقوال، إلى ما بعد الحرب الكونية الثانية، وذلك عندما انتبه قادة الحلفاء، بخاصة القادة الأمريكان . الذين كانت جيوشهم تجوب أقطار العالم، وتتواجد في كثير من البلاد مختلفة الأجناس والأعراق واللغات . إلى أهمية التفاهم اللغوي بين جنودهم وأهالي الأماكن التي يتواجدون بها. وكذلك إلى الكم الرهيب من المهاجرين القاصدين الأرض الجديدة، والذين أتوا من كل حدب وصوب.

وبذات الخصوص، أشار (CharlsFreis. 1946.) في أفرودته: (تعليم وتعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية) إلى أن الدراسات في هذا الصدد، هي التي تعتمد على التوصيف العلمي للغة المراد تعلمها والتي تتم مقارنتها بعناية مع لغة المتعلم الأولى.

وفي عام (1953) أصدر (Robert Lado) كتابه الموسوم ب (الدرس التقابلي بين اللغتين الإنجليزية والإسبانية. (Contrastive Study between English and Spanish) الذي اعتمد فيه على ما سبق وأن أشار إليه (Freis). في هذا الكتاب ذكر "إمكانية التنبؤ بالنماذج التي تعيق عملية تعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية، وكذلك وصف كل لغة على حدة. وفي الوقت ذاته، معرفة العينات اللغوية التي لا تقف حجر عثرة أما معلم ومتعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية. في ذات المقام، اهتم (Robert Lado) بأهمية الدرس التقابلي لثقافة اللغتين مناط الاهتمام.

في الربع الأخير من القرن العشرين، حصل تطور إيجابي في التعامل مع مفهوم الدرس اللغوي التقابلي، حيث أعيد ربطه بالجذور وأصبح واجهة دراسات جديدة مثل: (التحليل التقابلي لعلم اللغة الاجتماعي) (Contrastive Sociolinguistics).

(Hillinger. 1996). وكـذلك، فيمـا يتعلـق بالدراسـات المتعلقـة بطبـائع اللغـات. (Wierzbicka. 1992).

واستنادا إلى ما أشار إليه (Mouton. 1962)، فإن ملامح الدرس اللغوي التحليلي لم تتضح معالمه في العالم الغربي، ويصبح علما له حدوده وقيوده، إلا في ستينيات القرن الماضي بعد نشر جامعة شيكاغو كتاب (سلسة التراكيب التقابلية) (Series of Contrastive Structures). إلا أن الحال لم يدم، وشهد هذا الدرس الوليد بعض الركود في وطنه الأم. في الوقت ذاته، أخذ الاهتمام به منحى جديا في الغرب الأوروبي، وظهرت دراسات عديدة بالخصوص. (Fisiak. 1981).

وفيما أرى، فإن عقد دراسة تقابلية تتسم بالعلمية والمنهجية، يتم التركيز من خلالها على درس ثقافة اللغة الأولى، وثقافة اللغة الثانية، يتم التأكد من خلالها على تتبع مسارات الثقافتين، والاهتمام بنقاط الالتقاء، ونقاط الاختلاف، من شأنه أن يعين على تقريب الصورة إلى المتعلم، ومن تم، يكون إدراك مضامين تعلم اللغة الثانية أقرب جنا.

وعلى الرغم من أهمية الدرس اللغوي التقابلي في توفير المناخ المناسب، وتقديم فرضيات جادة في سبيل حل ما يعترض مسار تعلم وتعليم اللغات الأجنبية؛ فإنه لم يسلم من أن توجه إليه سهام النقد، بخاصة بعد قلة الاهتمام الملحوظ الذي اعترى (النظرية السلوكية) التي يعتقد أنه اعتمد على مضامين منهجها في الأساس والنشأة.

ومن بين أهم ما أثير من نقاط حول صلاحية هذا المنهج من عدمها، أورد أهم ما ذهب إليه (Newmark. 1966) الذي أفاد أن الدرس اللغوي التقابلي أعطى:

1. أهمية ودورا أكثر مما يتطلب لقضية التداخل بين اللغتين، الأولى والثانية، واعتبرها المصدر الوحيد للمتوقع من الأخطاء.

2. وأنه لا يتوافر على قواعد صلبة تراعي العوامل النفسية والاجتماعية لمعلم ومتعلم اللغة عموما والثانية أو الأجنبية.
3. اعتماد التنظير عوضا عن التجربة.

وعلى التسليم بوجاهة ما قيل، يبقى التحليل اللغوي التقابلي وبما يتوفر عليه من وصف شامل ودقيق لأنظمة اللغات عند عقد دراسة تقابلية بينها؛ مناخا خصبا يتوفر على التواصل بين التنظير والتطبيق، لأن أساسيات الدرس اللغوي التقابلي، قائمة على معطيات الدرس اللغوي العام، وبالخصوص الدرس اللغوي التطبيقي، وهو إلى التطبيق أقرب منه إلى التنظير.

وقد اختلفت وجهات النظر حول ماهية التقابل لهذا العلم، ففي الوقت الذي يرى فيه البعض أن شرط التحليل التقابلي، يجب أن يعقد بين لغتين بينهما تواصل ثقافي يرى آخرون، أن التحليل التقابلي، يجب أن يعقد بين لغتين لا تنتسبان إلى أرومة واحدة مما يشير إلى أن عملية التواصل الثقافي بين هاتين اللغتين قد يكون أمرا يصعب تحديده. في الوقت ذاته، يدعم من وجهة النظر التي تتبنى قصور الدرس اللغوي التقابلي، وعدم وضوح مسار معالجته لما يعترض متعلمي اللغات التي تنتسب إلى عائلة واحدة.

إلا أنني أرى، أن محاولة تضييق مسار هذا الفرع العلمي الواعد، وتحديد عنايته بلغات من عوائل لغوية مختلفة، يثير الشجن، حيث نعاين التقدم الهائل في مجال تعليم اللغات دونما تفريق، بل إن الاهتمام المتزايد بدراسة وتعلم اللغة الثانية، هو ما يفرض أجندته؛ ومن هنا فإنه يجب إعادة النظر في كثير من وجهات النظر التي سادت لفترة من الزمن، والتي أثبت الواقع قصورها، ومجافاتها الواقع. فنحن نشاهد الإقبال الكبير على تعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية من قبل متكلمي جميع اللغات، سواء في ذلك أكانت المنتسب منها إلى اللغة (الهندوأوربية) أم غيرها من العوائل

اللغويـة ذوات الجـذور المختلفـة، وفـي الوقـت ذاتـه، نجـد اهتمامـا ملحوظـا مـن قبـل الناطقين بالإنجليزية وحرصا على تعلم اللغة الأجنبية بنسب متفاوتة.

كل هذا يدعو إلى وجوب تعميم الدرس اللغوي التقابلي، والاستفادة من معطياته فيما يخص تعلم وتعليم اللغات، وعدم تخصيصه. ومن خلال تجربتي في تعلم اللغة الألمانية، والتي سبقت بتعلمي للغة الإنجليزية، أدركت قيمة التقابل بين هاتين اللغتين اللتان تنتسبان إلى عائلة اللغات (الهندوأوربية)، فقد كان التواصل سهلا في عموم أنظمة اللغتين، ولم تكن هناك أية صعوبة في تحديد ما يختص به نظام هذه أو تلك، ومما زاد في سهولة إدراك ما تختلفان فيه، أن لغتي الأولي تختلف عن كلتيهما.

وفي هذا الصدد، يبرز سؤال مهم. وهو: هل حسن تعلم اللغة الأولى، أو اللغة الأم . إن توفر . يعين على تعلم اللغة الثانية؟ كذلك، من خلال تجربتي الخاصة، أستطيع الجزم، وإفادتي عن طريق كثير ممن تعلم أكثر من لغة، أستطيع القول: أن ذلك واقع لا ريب فيه، وأن متعلم اللغة الثانية أو الأجنبية إذا. ما توفر له إحاطة شاملة بلغته الأولى، أو لغته الأم، فمن شأن ذلك إعانته على تفهم مسار أي لغة يريد تعلمها، فإلى جانب ما حبا الله به عباده من قدرة كامنة، تبيح لهم استيعاب ألفاظ، ومعرفة حدود عدد غير محدد من اللغات البشرية . إن توفر الوقت؛ فأنظمة معظم اللغات متشابهة، وتبقى الفوارق والحدود الخاصة بنظام كل لغة، وهي من المقدور عليه في ظل الاستعداد والإدراك الواعي.

صعوبات يواجهها المتعلم

الصعوبات التي يواجهها متعلم أكثر من لغة، حدت بعلماء اللغات من أن يبحثوا عن أكثر من حل، ويراهنوا على أكثر من نظرية. ونتيجة لما بدل من مجهود، ظهر ما سمي بـ (نظرية التدخل) (Interference Theory) وهي إحدى معطيات التحليل اللغوي التقابلي التي ترتبط مباشرة بواقع تعلم اللغة الثانية أو الأجنبية.

كثيرا من علماء اللغة والمهتمون منهم بمسألة التحليل اللغوي التقابلي يرون، أن مرجع الأخطاء اللغوية المرتكبة من قبل متعلم اللغة الثانية في معظمها . غالبا . يعود إلى: عدم التعرف جيدا على أساسيات التراكيب اللغوية في كلتا اللغتين، والتأثير المباشر من اللغة الأم، أو إلى اللغة الأولى. (محمود صيني. التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء. 1982. 99)

وفي ذات المقام، يرجع (Lado 1957) إلى أن السبب الرئيس، هو الاختلاف الكبير بين لغة المتعلم الأولى واللغة التي يتعلمها. ومن خلال ملاحظاتي حول الموضوع، أكاد أجزم، أن اللغة الأولى تلعب دورا مزدوجا، فهي من جانب تعين على التصور اللغوي العام، الشيء الذي تلتقي فيه جميع اللغات البشرية، ومن جانب آخر، كثيرا ما تضايق اللغة الثانية، بخاصة فيما يتعلق ببعض المسائل اللغوية التي بطبيعتها صعبة. مثلا: أحرف الجر في اللغة العربية، ومثيلاتها في كلتا اللغتين الألمانية والإنجليزية، مما يسبب معاناة كبيرة لمتعلم كلتا اللغتين. وكذلك مسألة التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، ومسألة الحذف والتقدير، وواقع الصفة والموصوف، وما يتبع ذلك.

وفي هذا الخصوص أرى، أن الدرس اللغوي التقابلي وإن اعتمد على معطياتها اعتمادا ظاهرا، فله مبرراته، التي أهمها الحرص على انسجام العملية التعليمية، وعدم إتاحة الفرصة أمام التدخل المتوقع من اللغة الأولى بخاصة إذا كانت تتمتع بسيطرة واضحة في المجالات الثقافية والعلمية، أو الاعتقاد بتميزها وفرادتها. إلى جانب أن فكرة (التدخل) لاقت استحسانا واهتماما من طرف التربويين وعلماء اللغات على السواء، ومع كل هذا، فهي لم تكن الوحيدة البارزة في دائرة اهتمامات هذا الدرس.

إضافة إلى ما سبق، واستنادا إلى حقيقة (التدخل)، اهتدى علماء اللغة إلى استنتاجات من شأنها المساعدة على تطوير مناهج وطرق علمية تفيد في تعلم وتعليم اللغات، الأمر الذي حد من التأثير السلبي للغة الأولى على مسار تعلم اللغة الثانية.

وفي نفس الوقت، فإن الاهتمام بمسألة (التدخل) من شأنه أن يدل على نقاط التلاقي، ونقاط الاختلاف بين اللغتين الأولى والثانية؛ وبهذا يتم التوافق مع منطلقات الدرس اللغوي العام، بخاصة ما يتعلق بالفكرة الثاقبة التي تؤكد وجود قواسم مشتركة بين أنحاء اللغات البشرية. وهو الفكر الذي أسس بنيانه العالم اللغوي الشهير (نعوم تشومسكي) والذي هو في أبسط تصوره، هو وجود قوة كامنة لدى الإنسان السوي، تمكنه من تعلم عدد غير محدود من اللغات، إذا توفر له الوقت الكافي والاستعداد الحسن. وفي هذا ما يؤكد صحة نظرية (النحو العالمي) (Universal Grammar) التي يرى مؤسس النظرية وأتباعها، وجود نظام مشترك بين أنحاء جميع لغات البشر، ومن تم فإن حقيقة الاختلاف بين أنظمة اللغات لا تنفي وجود أسس تتلاقي فيها، من شأنها أن تؤسس لنظرية نحو عالمي واحدا يكون غطاء عاما لما عرف من لغات.

أما فيما يخص ما أثاره اعتراض (Newmark. 1966) فالأمر في غاية الوضوح، وهو أن هذا الدرس في أساسه بني على أسس نفسية وعوامل اجتماعية، وقد كان ذلك سببا مباشرا وراء تضاؤل شهرته في العقد السادس من القرن الماضي بخاصة في موطن نشأته، بعد العدول الذي طال النظرية السلوكية، ولولا الاهتمام الأوروبي الذي حظي به، لتضاعف فقده. إضافة إلى ذلك، فإن اعتماده المزعوم على نظرية السلوك المنتهية صلاحيتها، لا يمنع الاستفادة من معطياته بخاصة بعد أن تبتت فائدته في مجال تعلم اللغات والترجمة.

على الصعيد الشخصي، ومن واقع احتكاكي المباشر مع العملية التعليمية، وتعلمي وتعليمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتدريسي للدرس اللغوي العام، والتطبيقي، والتقابلي، والترجمة، وصوتيات اللغتين العربية والإنجليزية، وترجمتي لمعاني قصائد منتقاة لشعراء أفذاذ من الإنجليز والألمان، إلى اللغة العربية شعرا على النمط العروضي التراثي.

استنادا إلى كل ذلك، أعترف بالدور المباشر والمهم للدرس اللغوي التقابلي، في تيسير المستعصي من المعضلات التي كثيرا ما تواجه العمليات التي تكون اللغة طرفا فاعلا في معطياتها، كتعلم وتعليم اللغة الثانية، أو الأجنبية، أو الترجمة والنقل، أو عقد درس تقابلي بن نصوص أدبية من لغات مختلفة. إضافة إلى ذلك، فإن اطلاعي ومحاولة تطبيقي لمعطيات الدرس اللغوي التقابلي، أعانني في التعرف على خصوصيات كل لغة، وفي الوقت ذاته، التعرف على ما يجمع بينها وبين قرينتها في عقد التقابل والمقارنة.

يبقى أن أشير إلى أن مصطلح (اللغة الثانية) (Second Language) لا يعني بالضرورة (اللغة الأجنبية) (Foreign Language)، فقد يكون المصطلح في مقابل مصطلح (اللغة الأولى) (First Language) كما هو الحال مع متعلمي اللغة العربية من العرب، الذين وإن تكلموا لغة توسم بأنها عربية، إلا إن واقع حالها يؤكد أنها ليست كذلك وإن اتصلت بوشيجة نسب إلى اللغة المشتركة.

وإلى جانب الاستفادة المباشرة من معطيات الدرس اللغوي التحليلي في واقع تعلم وتعليم اللغة الثانية، فإن الاستفادة من توجيهاته طالت فرعا آخر من أفرع الدرس اللغوي التطبيقي، وهو الترجمة والنقل الفوري من لغة إلى لغة. وفيما يخص الترجمة، وجد المعنيون فائدة كبيرة في الإلمام بأوجه التشابه والاختلاف بين اللغات التي تعنى بها، الدراسات اللغوية التقابلية. ولعله من بين أهم الأهداف التي على المترجم أن لا يكون ضحيتها، تجنب الوقوع في أخطاء تخص أنظمة اللغات، وكذلك إدراك الفروق في الثقافات والعادات، فالترجمة لا تقتصر على مستوى الألفاظ والتراكيب فحسب، بل إن مراعاة الخطاب وظروفه الموضوعية من الأهمية بمكان.

وكذلك طالت الدراسات اللغوية التقابلية عالم الدرس الأدبي التقابلي الذي هو في حقيقة أمره يعتمد اعتمادا مباشرا على اللغة وأنظمتها كافة بخاصة في مجال ترجمة معاني الشعر، التي تحتاج إلى فهم صريح لكل ما يتعلق بالنصوص الأدبية المراد

ترجمة معانيها إلى لغة غير لغتها، وعلى نفس الدرجة من الأهمية، الحاجة إلى معرفة الثقافة، والإلمام بواقع الحياة، وتاريخ لغة الهدف وثقافة صاحب النص العامة والخاصة.

وإلى جانب ما تقدم، وفيما يخص تحليل الغامض من التراكيب في اللغتين الأولى والثانية، يؤدي التقابل اللغوي التحليلي دورا بارزا في تيسير سبل التوصل إلى المعنى القريب، ويعين على تصور (الحيز الدلالي) الذي من شأنه تشكيل تصور عام لجميع ما يشي به التركيب.

خاتمة

في مقام السعي لتشكيل رؤية وصياغة مفهوم للدور المناط بالتحليل اللغوي التقابلي، حول مسيرة الدرس التعليمي، وبالخصوص فيما يتعلق بتعلم اللغة الثانية، تم تسليط الضوء في هذا العمل على عدة جوانب، منها ما اختص بالخطوط العامة، ومنها ما اختص بعرض بعض التفاصيل، التي درجت في ثنايا البحث وتقسيمات عناوينه.

غير أن من المهم الإشارة إلى أن هذه القضية، قد تناولتها أقلام البحاث، وكتب عنها الكثير بلغات عدة من بينها اللغة العربية التي وإن لم يكن ما كتب بها في المستوى الكمي لما كتب بلغات أخر، إلا إن فائدته كانت عميمة، ويدين هذا العمل فيما يدين به، لكثير مما تناوله السابقون من أعمال حول أهمية الدرس اللغوي بعامة والدرس اللغوي التقابلي بخاصة في مجال تعلم وتعليم اللغات.

وبقدر ما أفاد البحث من الدراسات السابقة، فإن شخصيته حاولت أن تبين عن وجاهة تميزها، بخاصة فيما يتعلق بلملمة الأشتات وتقابل الأضداد. في الوقت ذاته، فإن هذا العمل لا يدعي الإحاطة واستيفاء الموضوع، غير أن الباحث بذل قصارى جهده، وحاول الكشف عن حيثيات التحليل اللغوي التقابلي مستفيدا من معرفته لأكثر

من لغة، وتجربته المباشرة في تعلم تلك اللغات وتعليم علوم علومها، وبالخصوص في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

كذلك، من المهم الإشارة إلى أن الباحث فيما عزم على تقديمه، لم يكن يرمي إلى تقديم القول الفصل، أو الادعاء بأن بحثه سيكون البلسم الشافي لجميع ما يشكو منه عالم تعليم وتعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية، بل إن ما رمى إليه ليس أكثر من أن تكون خطوة أولى تعقبها خطوات، ودعوة إلى الأقلام الجادة لتثري هذا المجال العلمي بما من شأنه حلحلة القار من المشاكل والعالق من القضايا.

ودونما أدني مغالاة، فالدرس اللغوي التقابلي، كان حقيقة ماثلة في عالم الدراسات اللغوية قديما وحديثا، وبوادره لم تخل منها مصادر التراث العربي، وهي وإن كانت موجودة فمعالمها لم تبن بشكل رسمي، ويصبح علما له حدوده وقيوده إلا في النصف الثاني من القرن العشرين وبالتحديد على أيدي العلماء الغرب.

وعلى الجملة، فإن مناقشة بعض إمكانات التحليل اللغوي التقابلي، في مجال تعلم وتعليم اللغة الثانية، أو الأجنبية، هو ما تم عرضه ومناقشته، وذلك من خلال المناقشة والتحليل لما سبق وأن قيل، وما عليه الواقع والحال، وما هو المؤمل في قابل الأيام.

من خلال ما تم عرضه وبيانه، تبين أن الدراسات العربية التراثية لم تهمل مسألة الدرس اللغوي التطبيقي والتقابلي، وأن جهابذة علمائها، أثروا هذا الفرع العلمي، وإن لم يكن على ما هو عليه الآن؛ إلا أن المهم أنهم خلصوا إلى دراسات، وضحوا من خلالها، أهمية المعرفة اللغوية في التواصل ما بين الشعوب، وأنهم بما قدموه أثبتوا أنهم رواد هذا الفرع العلمي.

ومن خلال ما تقدم، يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1. تيسير المستعصي من المعضلات التي تواجه معلم ومتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية على السواء.

2. التقابل اللغوي التحليلي يعين على تصور مضامين اللغة المراد تعلمها.
3. التعرف على الأخطاء ومن تم تجنبها.
4. بيان المؤتلف والمختلف بين اللغتين.
5. المساعدة على اكتشاف آليات تعين على تطوير مناهج التعليم العامة والخاصة.
6. في مجال الترجمة والنقل بين اللغات، يعين الدرس اللغوي التقابلي المترجم في التعرف على خصوصيات كل لغة.
7. تقريب فكرة النحو العالمي، وذلك من خلال إبراز أهم ما يميز كل لغة عن قرينتها.
8. التقريب بين النتاج الأدبي لكلتا اللغتين.
9. التعرف على الأخطاء، ومن تم تجنب الوقوع فيها.

ثبت المصادر

- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب، القاهرة، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.
- البيان والتبيين، الجاحظ. تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985.
- التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، محمود إسماعيل صيني، جامعة الملك سعود، الرياض، 1982م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح، مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.
- الكتاب، سيبويه، تح، عبد السلام هارون، بيروت، عالم الكتب، 1983م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، صيدا، 1986م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر.

مراجع أجنبية

- Charls.F, 1981, Learning English as a Foreign Language.
- Fisiak. J, 1981, Contrastive Analysis and the Language Teacher, The Pergamon Institute of English.
- Hllinger.M. & U Ammon, (1996) Contrastive Sociolinguistics, Berlin: Moutonde Gruyter.
- Lado. R, (1957), Linguistics Across Cultures, An Arbor: University of Michigan.
- Mouton. W.G, (1962), The Sounds of English and German, Chicago: University of Chicago Press.
- Nemark, L. & D.A. Reibel, (1968), Necessity and Sufficiency in Language Learning, International Review of Applied Linguistics.
- Wierzbicka,A, (1992) Cross-Cultural Pragmatics of Human interaction, Berlin: de Gruyter.